سر صناعة الإعراب

فتحة نحو الزيدان والزيدون وكلتاهما محركة لالتقاء الساكنين وخالفوا الحركة للفرق بين التثنية والجمع وكانت نون التثنية أولى بالكسر من نون الجمع لأن قبلها ألفا وهي خفيفة والكسرة ثقيلة فاعتدلا وقبل نون الجمع واو أو ياء وهي ثقيلة ففتحوا النون ليعتدل الأمر .

فإن قلت فقد تقول مررت بالزيدين وضربت الزيدين فتكسر النون وقبلها ياء فهلا هربت إلى الفتحة لمكان الياء كما هربت إلى الفتحة لمكان الياء في نحو أين وكيف .

فالجواب أن الياء في نحو الزيدين والعمرين ليست بلازمة كلزومها في أين وكيف ألا تراك تقول في الرفع الذي هو الأصل وإنما الجر والنصب فرعان عليه رجلان وامرأتان فلا تلزم الياء النون كما تلزم الياء النون والفاء في أين وكيف فلما كانت الياء غير لازمة في التثنية وكان الرفع الذي هو الأصل لا تجد فيه ياء أجروا الباب على حكم الألف التي هي أصل وإنما الياء بدل منها ولو أنهم فتحوا النون في الجر والنصب وكسروها في الرفع لاختلفت حال نون التثنية على أن من العرب من يفتحها في حال الجر والنصب تشبيها بأين وكيف ويجري الياء وإن كانت غير لازمة مجرى الياء اللازمة فيقول مررت بالزيدين وضربت العمرين وأنشدوا في ذلك .

(على أحوذيين استقلت عليهما ... فما هي إلا لمحة فتغيب)